

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه **La**

Société Indigène de l'Afrique du Nord(1937)

Contributions of Mohamed Soualeh Ben Maammar to French Oriental Studies in Algeria, through his book: La Société Indigène de l'Afrique (du Nord) (1937

د. لهلاي سلوى¹

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 ، lahlaliselwa@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/..../..

تاريخ القبول: 2020/..../..

تاريخ الاستلام: 2020/..../..

ملخص:

تميزت ظاهرة الاستشراق بالجزائر أثناء الفترة الاستعمارية بالاعتماد على الجزائريين أنفسهم من أجل ضمان الإلمام بكل تفاصيل المجتمع، وقد صنف محمد صوالح ضمن أحد الأهالي الجزائريين الذين صدوا في سلم التراتبية الاجتماعية والعلمية من خلال مشروع التناقف الانتقائي، وكان أحد المطورين الذين قدموا خدمات علمية قيّمة للإدارة الفرنسية من خلال إسهاماته التعليمية أساسا والموجهة للتعليم الأهلي، ويصنف مؤلفه ضمن الدراسات المونوغرافية النادرة في المكتبة الجزائرية، من خلال تفوقه الكبير على بعض المستشرقين في وصف المجتمع الجزائري، حيث ركز على نمطية العقلية الجزائرية فكرا وممارسة وسلوكا في إطار التعريف بخصائص المجتمع الجزائري للأحر.

كلمات مفتاحية: الاستشراق. المجتمع الأهلي. الجزائر. الخصائص الحضارية. محمد صوالح.

Abstract:

The phenomenon of Orientalism in Algeria during the colonial period depended on the contributions of the Algerians themselves in order to ensure close familiarity with society. Mohamed Soualeh was one of the Algerians who rose in a social and scientific hierarchy through a selective acculturation project. He was one of the developers who provided valuable scientific services to the French administration through his educational contributions reserved for local education.

His books are classified among the rare monographic studies in the Algerian library, He proved his great superiority over some orientalists in describing Algerian society, as he focused on the stereotypical Algerian

mentality of thought, practice and behavior within the framework of introducing the characteristics of Algerian society to the other.

Keywords: Orientalism, civil society. Algeria. Cultural Characteristics. Mohamed Soualeh.

المؤلف المرسل: الاسم الكامل،

1. مقدمة:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوع إسهام الجزائريين في عملية الاستشراق الفرنسي من خلال دراسة شخصية محمد صوالح ودوره في التعريف بالمجتمع الأهلي - نظرة تاريخية عبر كتابه **« La société indigène de l'Afrique du nord »**. المتكون من ثلاثة أجزاء صورة الجزائري المستشرق الذي تأثر بأفكار المستشرقين الفرنسيين ومنهجهم في الكتابة والتأليف، وباعتباره من النخبة المطورة ذات المرجعيات الاجتماعية الجديدة -الرجال الجدد- في الأدوار الجديدة التي خلقتها فرنسا خلفا للخيم الكبرى، فإنه قدم مساهمات قيمة في مجال التعليم الأهلي، ومن وجهة أخرى أسهم في الإنتاج العلمي في إطار التعريف بالأنا للآخر لإيماننا منه بسياسة العيش المشترك في خطوة نحو إحداث تغييرات وتحولات عميقة في المجتمع الأهلي الجزائري وهذا ما عبر عنه في مؤلفه المذكور.

وتطرح هذه الدراسة نمطية الدراسة الاستشراقية عند الجزائريين المتعاونين مع إدارة الاحتلال من خلال شخصية محمد صوالح كأحد رواد النخبة الجزائرية المفرنسة والذي يعتبر من الشخصيات المغمورة والتي لم تحظ كتاباته بالدراسة التاريخية الكافية.

2. الاستشراق والظاهرة الاستعمارية بالجزائر:

يعتبر الاستشراق أحد مظاهر الغزو الثقافي الفرنسي على حد تعبير المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله وذلك منذ 1830، وهي سنة احتلال الجزائر بتنظيم من سلفستردى ساسي (de sacy) الذي مثل منشئ علم الاستشراق في أوروبا، وقد شجع على فتح باب الدراسات العربية بالجزائر بإشراف أعلام مثل لويس برينية (أبو القاسم ، 1998، الصفحات 9-10)، ونظرا للاهتمام العميق الفرنسي بالحياة في الجزائر فقد ذبلت الحملة الفرنسية العسكرية بمجموعة من الكتاب والجغرافيين والمترجمين لدعم الحملة

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

وتدعيم الهيمنة العسكرية بالهيمنة الحضارية والثقافية لمعرفة كل تفاصيل الحياة الأهلية الجزائر لإحكام السيطرة على السكان ومعرفة مداخل تفويض ثقافة الأنا واستبدالها بالآخر.

هذا وقد مرت عملية الاستشراق بالجزائر بمراحل ثلاث تطورت فيها العملية وفق مستجدات كل مرحلة حيث انطلقت المرحلة الأولى من 1830 إلى 1879 والمرحلة الثانية من 1879 إلى 1930 أما المرحلة الثالثة فكانت من 1930 إلى 1962 أين تشعبت فيها وسائل الاستشراق وتغوّلت أكثر بإنشاء المعاهد المتخصصة في الدراسات الإستشراقية والدراسات الصحراوية إلى جانب الدراسات العربية ومحاوله الاستفادة من المطورين -الرجال الجدد- (أبو القاسم ، 1998، الصفحات 13-14)

اختلفت مظاهر الاستشراق في الجزائر من ترجمة واهتمام باللغة والإسلام والعادات والتقاليد وبذلك أصبحت الجزائر حقلا للظاهرة الاستشراقية خاصة ما تعلق بالدراسات العربية، ويذكر هنري ماسي بأن الاستشراق قد بدأ منذ وقوع صدمة الاستعمار بالمنطقة: "يبتدئ تاريخ الدراسات العربية في الجزائر بوصول الجيش الفرنسي سنة 1830"، وكما حصل مع الحملة الفرنسية على مصر فقد صاحب فريق من التراجمة الجيش الذي كان على رأسه "دوبورمون" خلال العمليات العسكرية التي أفضت إلى الاستيلاء على الجزائر حيث قدم عدد من هؤلاء التراجمة خدمات عظيمة (دريوش و تريجاتان، 2017، صفحة 166) ، هذا وقد لاقت حركة الاستشراق دعما قويا من طرف صانعي القرار في باريس باعتباره مرحلة مهمة لإحداث التماهي غير المشروط في الآخر، وقد كان اهتمام المستشرقين منصبا على المخطوطات الجزائرية أين وجهت إلى التحليل والدراسة والبحث العميق ثم ترجمتها للفرنسية باعتبارها مادة أساسية لبداية الاستشراق.

امتاز الغزو الفرنسي بخاصية الازدواجية في الهيمنة والسيطرة من خلال دعم السلطة للإستشراق ومحاوله هذا الأخير تثبيت العملية الاستعمارية إذا أن: (بن براهيم ، 2004، صفحة 103) "القوتين الفرنسيتين الاستشراقية والاستعمارية كانتا متطابقتين ومتلاحمتين والعلاقة بينهما كانت أكثر انسجاما وتكاملا... فالاستعمار الفرنسي يتميز عن غيره بأنه كان استعمارا استيطانيا، خاصة في شمال إفريقيا على

وجه الخصوص في الجزائر وهذه السياسة الاستيطانية كان الاستعمار يعمل على تكريسها ثقافيا عن طريق الاستشراق."

3. محمد صوالح - المسار والاسهام العلمي:

هو محمد صوالح بن محمد بن معمر ولد في 1873 بفرندا (تيارت)، من التلاميذ القداماء لمدرسة المعلمين ببوزريعة وحسب أبو القاسم سعد الله فإنه من خريجي المدارس الشرعية الفرنسية (أبو القاسم ، 1998، صفحة 260)، حامل لشهادة البكالوريا في 1894 من المدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة سنة 1898، ثم مترجم قضائي في نفس السنة وحاصل على دكتوراه الآداب وأستاذ ثانوي في المدرسة العليا للتجارة والمعهد الزراعي في الجزائر، كما عمل مترجما وصحفيا (زوزو، 2012، صفحة 66) وفي 1915 شارك في الحرب العالمية الأولى كمجنّد في صفوف الجيش الفرنسي برتبة رقيب وعمل في مصلحة الترجمة، هذا ويذكر أبو القاسم سعد الله أنه كان ملحقا بالجنود الجزائريين لرفع معنوياتهم والتأثير فيهم حتى لا ينضموا للألمان (أبو القاسم ، 1998، صفحة 261)، كما ساهم محمد صوالح في تأسيس المدرسة العربية الفرنسية للتجارة وألف مصنفات كثيرة (أبو القاسم ، 1998، صفحة 209).

كان المسار المهني لمحمد صوالح حافلا بالأعمال العلمية والتعليمية، حيث عمل في وقت مبكر في نشره التعليم الأهلي وكان من المؤسسين للتعليم الفرنسي العربي للتجارة وحتى بالمدرسة العليا، كما كان له نشاط صحفي واسع في بداية العشرينيات وساهم في تأسيس وإدارة بعض الجرائد المعروفة في تلك المرحلة ونذكر أهمها:

-المستقبل الجزائري 1920/4/29 بالجزائر واختفت في 1921/4/23.

-مستقبل الجزائري في 1921 واختفت في 1921/02/24.

-النصيح وظهرت بالجزائر 1921/7/8 واختفت في 1922/10/27.

وإلى جانب نشاطه الصحفي شارك محمد صوالح في الأنشطة الثقافية للنوادي والجمعيات المعروفة في تلك المرحلة خاصة الجمعيات الخيرية منها مع ابن ثامي كحال جمعية الطليعة 1895، والجمعية التوفيقية

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

(1911/1908) إلى جانب كونه عضوا قياديا في حركة الشبان الجزائريين مع ابن ثامي وكان من أشد

المناصرين لتحقيق الاندماج والتماهي مع فرنسا (جغلول، د.ت، صفحة 62)

4. إسهاماته في مجال التعليم الأهلي الجزائري:

يعتبر محمد صوالح من فئة المطورين التي عوّل عليها الاحتلال من أجل تطبيق سياسة التماهي من خلال سياسة التثاقف الانتقائي (بريفيلي ، 2007، صفحة 39)، وقد ساعدت دراسات المستشرقين الأوائل على تكريس فكرة الفروقات الثقافية في الجزائر، وهو ما جعلهم يحتقرون حياتهم الأهلية ويتوجهون نحو المدرسة الفرنسية ليصبحوا أطباء ومدرسين وصحافيين تبنا الثقافة الأوروبية، ومن جهة أخرى عكس الصورة الاندماجية ولأنه كان عضوا بارزا في حركة الشبان الجزائريين والتي أبدت استعدادها لتأييد قانون الخدمة العسكرية حيث ورد في جريدة الراشدي أنهم ليسوا ضد ضريبة الدم ولكنهم يطالبون بالمواطنة الفرنسية في إطار نيل الجنسية الفرنسية (le rachidi , 1912).

عوّلت إدارة المحتل على فئة المطورين من أجل تسهيل مشروعها الإدماجي في الجزائر، وتعتبر السياسة التعليمية ركيزة هذا المشروع لأنها سطرت لخلق فئة هجينة من الجزائريين ذوي التعليم الفرنسي من أجل تبني الفكر الكولوني كثقافة بديلة (حمادي، د.ت، الصفحات 13-14)، ولم تكن هذه الصورة بعيدة عن تفكير هؤلاء حيث سعوا إلى دخول العائلة الفرنسية بمناداتهم لتماهي الجزائر مع فرنسا وبالتالي كانت فرصة للعائلات الجديدة من أجل أخذ مكان الخيم الكبرى ولعب دور قيادي بعد تقديم الولاء الثقافي والاجتماعي لفرنسا من خلال دفع ضريبة العضوية الجديدة.

هذا وقد برزت أسماء العديد من العائلات كواجهة للأسر البورجوازية الجديدة من أجل تكوين مشروع الرجال الجدد من خلال تطبيق سياسة التثاقف الانتقائي (بريفيلي ، 2007، صفحة 120) وقد تعايشت هذه العائلات الحديثة النشأة مع العنصر الاستعماري وتعاونت معه في سياسة فرض الهيمنة الثقافية والاجتماعية من أجل الحصول على دور قيادي يمكنها من الاستفادة من الامتيازات الاقتصادية تحديدا، وكان من أمثلة هذه العائلات ابن ثامي في مستغانم وعائلة بوضربة عضو المجلس البلدي وعائلة

ابن بريهمات (أحمد بريهمات مترجم وعمار بن بريهمات مدرس)، وعائلة تامزالي من بجاية (إسماعيل تامزالي محامي وعبد النور تامزالي طبيب)، وأسرة بن ثامي بلقاسم ولد حميدة طبيب، عضوا في حركة الشبان الجزائريين وعائلة عباس (سعيد عباس آغا وابنه فرحات عباس تلميذا في المدرسة الفرنسية) (خري، 2002-2003، الصفحات 63-65).

أفضى هذا الاحتكاك مع العنصر الفرنسي إلى اكتساب طرق العيش الفرنسي وهو ما جعل القابلية بالآخر مفتوحة وذلك بإرسال أبناءهم للمدارس الفرنسية من أجل التشبع بثقافة الآخر، وهو ما ترجمه الجيل الثاني الموالي لإدارة الاحتلال الفرنسي أمثال محمد صوالح وبلقاسم بن ثامي، محمد الصالح بن جلول وعباس (الشيخ و تر محمد الحافظ الجمالي، 2003، صفحة 29) إلى جانب المرجعية الاجتماعية كان للنوادي والجمعيات تأثير على هؤلاء المطورين وعلى محمد صوالح كأحد رواد النخبة الفرنسية، والذي نشط في الجمعيات الفرنسية كالجمعية التوفيقية (1908-1911) والتي كان عضوا فيها ترأسها ابن التهامي إلى جانب عضويته في جمعية الطليعة التي تأسست في 1895 وأسسها كذلك صوالح رفقة ابن التهامي.

عرف محمد صوالح بمؤلفاته الغزيرة في مجال التعليم حيث قدم مجموعة كبيرة من الكتب البيداغوجية وهو ما جعله حسب إسماعيل حامد من الشخصيات التي لمعت في ميدان التعليم (hamet, 1906, p. 210) وأصدر عددا كبيرا من الكتب غير المعروفة عند الكثيرين حيث ألف أكثر من أربعة وعشرين (24) كتابا في مجال التعليم والشؤون الأهلية.

لقد اكتست مؤلفات صوالح البيداغوجية سياسة الطريقة الترابية التي تركز لغة الطفل في المدرسة، والتي هي نفسها تواصل للغته المنزلية ولم تخرج هذه الكتب البيداغوجية عن السياسة العامة التي سطرها إدارة الاحتلال من أجل خدمة الاستشراق من جهة، ومحاربة اللغة العربية الفصحى من جهة أخرى والسعي لفلكلرة كل الرموز المقدسة -الدين الإسلامي واللغة العربية- وجعلها في دائرة العادات والتقاليد التي يمكن إحداث التغيير فيها مع مرور الوقت (حاجي، 2013، صفحة 362) وهو ما حله الباحث فريد حاجي قائلا: "عمل المحتل على تلخيص ثقافة المجتمع في مجرد فولكلور بشكله المادي أو

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

غير المادي، هذه الأشكال من التعبير الفولكلوري هي التي كانت محور الكتب المدرسية وهي نصوص تتسم بطابع الأدب الشعبي، وهي نصوص تم انتقاؤها بدقة لتحقيق الغاية المرجوة، وهي تحويل الإسلام إلى دين عبادة يعزل فيها السياسي عن الديني، أو بالأحرى الدين من خلالها إلى بابوية رمزية ويصادر السياسي بيد سلطة المختل."

كما اهتم محمد صوالح بالتراث العربي الإسلامي من خلال دراسات تاريخية علمية كحال مقالة حول الصوم عند المالكية مبرزا ملاحظات حول شهر رمضان وأثره على المجتمع الجزائري، والذي نشره في المجلة الإفريقية مستخلصا ذلك من رسالة أبي زيد القيرواني ملاحظا التزام المجتمع الجزائري بالصوم فقط في رمضان أما باقي أيام السنة فإن الصيام نادر (أبو القاسم ، 1998 ، صفحة 260).

5. الخاصية الاستشراقية في كتابات محمد صوالح :

يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله (أبو القاسم ، 1998 ، صفحة 14): "كثيرة هي الأعمال التي تتعلق بالحياة الاجتماعية كالتعليم والمرأة وعادات الصوم والأعياد والأفراح والألعاب والأحزان وعودة الحجاج، وما إلى ذلك وكان الجزائريون يكتبون للفرنسيين عن ذلك بلغتهم ليعرفوهم بأهلهم وعاداتهم إما دفاعا عن النفس أو دعوى للتغيير."

ويشير الباحث هلايلي حنفي أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر عرفت كيف توظف التاريخ المحلي لخدمة الأغراض الاستعمارية من خلال مداخل عديدة منها ما يتعلق بالتعريف بالتراث الثقافي، وكان رجال الاستشراق عموما موظفون سامون في خدمة الاستعمار لأن جل كتاباتهم تصب جميعها في إطار خدمة الوجود الفرنسي بالجزائر (هلايلي ، 2005 ، صفحة 152)

يعتبر محمد صوالح أحد الجزائريين الذين ساهموا في حركة الاستشراق الفرنسي من خلال التعريف بخصائص المجتمع الجزائري، وجعل الآخر يفهم طبيعة حياة وتفكير الجزائري من أجل تحديد السياسة الأنجع لتعويض هذه الخصائص بمقومات الأخر لإحداث التماهي، هذا ويضيف المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن محمد صوالح أحد المستشرقين الذين قدموا خدمات كثيرة لفرنسا في إطار مشروع الاستشراق ذو

التوجيهات الخطيرة لمستقبل المجتمع الجزائري حيث يقول (أبو القاسم ، 1998 ، صفحة 260). "وكان على اطلاع بأحوال المجتمع الأهلي حسب التعبير الفرنسي عندئذ، فكانت كتاباته كلها تقريبا تصب في تعريف الفرنسيين بخصائص وخصائص هذا المجتمع من تقاليد ودين وعقائد وتاريخ وفولكلور"، وبالتالي فإن كتاباته تصب في فلك الدراسات الاستشراقية وهو أقرب إلى الاستشراق منه إلى مؤلف مسلم، حيث أصدر عادة الاحتفالات المثوية كتابه الذي أشتهر بـ"المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا"، قدم من خلاله وصفا دقيقا للحياة الأهلية باللغة الفرنسية، هذا ويتساءل سعد الله عن عدم تأثر محمد صوالح بالحركة الثقافية العربية في الجزائر مع مطلع العشرين خاصة مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (أبو القاسم ، 1998 ، الصفحات 260-263).

6. مونوغرافيا المجتمع الجزائري من خلال كتاب المجتمع الأهلي:

-التعريف بالكتاب:

Soualah Mohammed : la Société Indigène de l'Afrique du Nord, Alger laty po lite, hot et jules carbonel, éditeurs 2 rue de Normandie 1937.

وقد صدر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء غير أن نسخته نادرا ما تستخدم في التوثيق التاريخي بشكل وافر، لخص هذا الكتاب الحياة العامة للمجتمعات المغاربية عموما، وقد تناولنا في ورقتنا البحثية هذه حالة الجزائر، واعتمد في وصف بعض الظواهر الثقافية والاجتماعية وحتى التاريخية على مؤلفات المستشرقين الفرنسيين ومختلف تقاريرهم عن الحالة العامة للمجتمع، وقد لاحظنا في قائمة المصادر التي وظفها صوالح اعتماده الكلي تقريبا على كتابات الفرنسية في حين اقتصر على كتاب محمد بن شنيكدراسة محلية جزائرية رغم توفر الدراسات المحلية ، ومن أهم الدراسات التي ركز عليها في توثيق كتابه

:Bencheneb Mohammed proverbes arabes

, de l'Algérie et du Maghreb 3 vol, paris 1905-1907.

إلى جانب كتاب: Almostatraf : anthologie arabe traduite par rat

أما عن مؤلفات الفرنسيين فقد اعتمد بصفة كبيرة على المؤلفات التالية:

- Arippe : des sociétés indigènes de prévoyance et prêts mutuels d'Algérie, Alger.
- doutté : magie et religion dans l'Afrique du nord, Alger 1909.

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

- F. Gautier : l'évolution de l'Algérie de 1830 a 1930 (dans les cahiers. du centenaire de l'Algérie, III).
 - G. Hardy : vue générale sur l'histoire de l'Afrique Paris, 1930.
 - Hanoteau et Letourneux : la Kabylie et les coutumes kabyles. 3 vol. Paris, 1893.
- (Soualah, 1937, pp. 525-528)

وإلى جانب هذه المادة العلمية اعتمد محمد صوالح على مجموعة من مؤلفاته الشخصية والمتعلقة تحديدا بالتعليم الأهلي وأشار إلى 06 مؤلفات له (Soualah, 1937, p. 527)

ويشير انتباه الباحث حول هذه المادة إلى التأثير الكبير بمؤلفاء المستشرقين وأفكارهم فأريب (arrippe) ودوتي (doutté) وغوتيه (goutier) وهاردي (herdy) أعلام بارزة في الاستشراق الفرنسي بالجزائر غير أن الواضح أن محمد صوالح كان متأثرا بأستاذه رينيه باصيه، والمعروف بأعماله في ميدان الاستشراق (1824-1880)، وخدمت أعماله الأهداف الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، وعلى إثره حظي باصيه بالاهتمام العلمي والإداري واستطاع التأثير على جيل من التلاميذ الجزائريين الشغوفين بالتماهي، وتقديم الخدمات كضريبة عضوية في الثقافة الفرنسية أمثال محمد صوالح، وبوليفة وإسماعيل حامد، ويؤكد سعد الله فكرة تأثير صوالح بباصيه كونه حائز على شهادة الدكتوراه في الآداب (أبو القاسم ، 1998 ، الصفحات 29-30) غير أنه لم يحظ بما حظي به محمد بن أبي شنب الذي كان مقربا من باصيه والتحق بكلية الأدب ودرس بها 1894 وهو ما جعله عنصرا مهما في المؤسسة الاستشراقية وساعده في المشاركة في مؤتمر المستشرقين 1905 إلى جانب مكانته في المجلة الإفريقية كعضو في لجنتها العلمية إلى جانب نشر مختلف أبحاثه فيها (لحمر، 2010-2011، الصفحات 565-566)

كما أن الحكومة العامة ساندت أعمال وإنجازات باصيه خاصة ماديا من أجل القيام بأبحاثه، وأبحاث تلاميذه والاهتمام الكامل برحلاتهم وبعثاتهم العلمية حيث توجهت الإدارة الاستعمارية الفرنسية سنة 1905 لرئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي 14 في الجزائر، وكان باصيه متقنا للعديد من اللغات، وعمل أستاذا في مدرسة الآداب بالجزائر 1885م، ثم عين مديرا لها سنة 1894 ليصبح عميدا لكلية الآداب بجامعة الجزائر 1911 وخلف انتاجا كبيرا حول الدراسات العربية والبربرية وخصوصا ما تعلق بالأدب

الشعبي (هلايلي ، 2005 ، الصفحات 339-340) وهو ما يفسر فعلا تأثر محمد صوالح به وظهور النزعة الاستشراقية في كتابه حول المجتمع الأهلي، حيث عبر عن رغبته في دعم هذا المجال لأنه في نظره يحقق سياسة العيش المشترك ويعرف الآخر بكل خصائص المجتمع الجزائري والتي استغلها صانعوا القرار لإيجاد مداخل لتقويض المجتمع الجزائري ومحاولة تكريس ثقافة وحضور الآخر.

تتلخص هذه النظرة الاستشراقية لصوالح في كتابه من خلال مقدمة الكتاب حيث يقول (soualah, 1937, p. 1): "بعد نشر الإسلام وتطور الثقافة العربية من العصور القديمة إلى يومنا هذا أعرب عدد كبير من الأشخاص المؤهلين عن رغبتهم في الحصول على صورة جامعة عن أعراف وعادات الجزائر وتونس والمغرب، كنت مقتنعا أن مثل هذا العمل سيكون مفيدا للفرنسيين وكذلك المسلمين."

ولهذا كان محمد صوالح يرى نفسه الأكثر اطلاعا ومعرفة بعقلية وتطلعات السكان الجزائريين أكثر من الأوروبيين أنفسهم، وكان كثيرا التقدير لعطاء فرنسا في تاريخ المنطقة منذ يوبا الثاني وإلى القديس أوغسطين وعبد القادر ومصطفى بن إسماعيل.

حيث يقول (soualah, 1937, p. 1): "وآلاف من أبطال الحرب العظمى المجهولين من خلال ملاحظة التقدم المحرز تحت رعاية فرنسا التي تحترم عقيدتهم ل يتم تشجيعهم على السير في طريق الحضارة."

آمن محمد صوالح في كتابه -المجتمع الأهلي- سياسة العيش المشترك فهو لم يختلف عن الجزائريين المستشرقين الذين تأثروا بالفكر الاستشراقي ولم يستطيعوا التحرر من التوجيه الفكري للمستشرقين الفرنسيين ووصايتهم، وهو ما خلق نجاحا للاستشراق الفرنسي خصوصا وأن خريجي المدارس الفرنسية من الأهالي المتفوقين الذين تتلمذوا على يد المستشرقين وأخذوا عنهم الثقافة العربية والإسلامية (بن براهيم ، 2004، صفحة 178)، نوهو ما حدث مع محمد صوالح الذي تبنى نظرة المستشرقين في منهج كتاباته عن العالم الإسلامي خاصة ما تعلق بالخصوصيات الثقافية والمواضيع العامة واللهجات والعادات والتقاليد والهويات، وهو ما شجعه على المساهمة في هذا المشروع الحضاري في نظره وحاول المشاركة بمعرفته

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

ليستفيد منها الاستعمار في مشروعه الاستشراقي الذي لم يكن سوى استغلال ذكي لهذا الميدان من أجل تمكين الهيمنة الفكرية والحضارية من خلال علاقة وظيفته بين المستشرق والإدارة الاستعمارية (خكري، 2002-2003، الصفحات 462-463).

آمن محمد صوالح بتقارب الرؤى الثقافية بين المجموعتين من خلال فتح باب الثقافة الذي يخدم أكثر الأنا حيث يقو (soualah, 1937, pp. 1-2): يفهم كلاهما اهتماماتهما المباشرة واهتماما بمستقبلهما تجعلهما واجبا للاحترام والترابط والتوحيد من ناحية أخرى... وبدا لي من المناسب هذا لتكييف وتحديد وتطوير المفاهيم المعتادة في التاريخ وعلم الاجتماع السائدة عند العرب والبربر"، وقد اعتبر مجهوده العلمي في تأليفه كتابه هذا حول المجتمع الأهلي بمثابة تكريس للتعيش الثقافي: (soualah, 1937, p. 2) " من خلال اتحاد القلوب في بلد صهر بين الأعراق المختلفة، ولهذا قررت تأليف هذا العمل الجديد ويتضمن ثلاثة أجزاء متكاملة."

احتوت الأجزاء على حوالي 547 صفحة وتجمع هذه الدراسة 8 صورة مونوغرافية مفصلة عن المجتمع الجزائري إلى جانب مقتطفات من تونس والمغرب غير أن كتابه هنا حاكى بشكل لافت كتابات المستشرقين الفرنسيين في وصف المجتمع الجزائري، وهو ما جعله شديد التأثير بهم .

6. صور من وصف المجتمع الأهلي الجزائري:

حاول محمد صوالح من خلال كتابه محاكاة مؤلفات المستشرقين الفرنسيين الذي ركزوا في كتاباتهم على أدق التفاصيل اليومية والحضارية للمجتمع الجزائري حيث قسم المصنف إلى أجزاء يتناول كل جزء مواضع محددة.

الجزء الأول: تناوله في حوالي 145 صفحة حاول من خلاله التاريخ للأصول العرقية للمنطقة من خلال دراسة كرونولوجية لمختلف الحقب التاريخية التي صنعت المجتمع الأهلي: العرب، القبائل، المزابين، المغريين، السود واليهود وتناول فيه تضارب الأصول والمجموعات السكانية وتفكيرها ومختلف العقلية عبر التاريخ إلى غاية الفترة التي ألف فيها صوالح الكتاب (soualah, 1937, pp. 26-36)

كما تطرق إلى الفترة العثمانية وبعض معالمها الحضارية (soualah, 1937, p. 69) ليعرج على الحملة الفرنسية على الجزائر من جانب تاريخي وصفي ثم وضعية المجتمع الجزائري وتركيبته الجديدة (soualah, 1937, pp. 104-105) واستطاع محمد صوالح توضيح فكرة المجموعتين في مجموعة واحدة بين المعريين والبربر، ودراسة الخصوصيات الاجتماعية والثقافية من خلال نصوص تاريخية موثقة عموما وفقا لما ألفه وكتبه المستشرقون الفرنسيون وفق الطروحات الاستعمارية رغم محاولته طرح الظاهرة بكل موضوعية. (soualah, 1937, pp. 110-121)

حاول محمد صوالح التعريف ببعض الجوانب المفتاحية الفطرية في المجتمع الجزائري كعرض الديانة الإسلامية والقرآن، والتطرق لبعض المناسبات الدينية ومدى تجدها في عقليات المجموعات البشرية بالجزائر جهويا نظرا للاختلافات السسيوثقافية (soualah, 1937, p. 38)، إلى جانب وصف للحياة اليومية للأسرة وأفرادها وعاداتها وتقاليدها كدراسته حول التقاليد الصحراوية والقبائلية والتركيز على وظيفة المرأة في المجتمع الأهلي التقليدي، (soualah, 1937, p. 64) عموما عكس الجزء الأول الصورة للتقليدية للمجتمع ما قبل مرحلة التحول العميق بعد الإصلاحات الفرنسية في نظره طبعا.

الجزء الثاني: يعتبر الجزء الثاني استمرارا لمونوغرافيا الجزء الأول من حيث استعراض مجتمع ما قبل الحداثة الفرنسية حسب رأي محمد صوالح فقد تناول فيه الحياة اليومية للمجتمع الجزائري حيث ركز على دراسة عميقة للأسرة الجزائرية من حيث الممارسات اليومية والنمطيات الذهنية والروحانيات، إلى جانب الموروث الشعبي في شكله الفولكلوري، ومن خلال محتوى الجزء الثاني وفهرسه فقد تناول ما تعلق بالأسرة والطفولة المدنية، البنت، الزواج، والقوانين الإسلامية، القبيلة، الزراعة، التجارة، السوق، الأعياد، الموسيقية، كمواضيع محددة الدراسة وعميقة الوصف لفرنسيين (soualah, 1937, p. 316).

بعض الجوانب التي وصفها الكتاب وعرف بها الفرنسيين:

حددنا بعض الصور الأساسية في المجتمع الجزائري والتي أسهب محمد صوالح في وصفها للفرنسيين

واتبع المستشرقين الفرنسيين أنفسهم في عملية الوصف الدقيقة وقد اخترنا:

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

-العائلة: حظيت العائلة الجزائرية باعتماد المستشرقين الفرنسيين، حيث أسهبوا في الكتابة عن أدق التفاصيل اليومية للسكان وعاداتهم وتقاليدهم ولا يصب هذا في التعريف بخصائص المجتمع بقدر ما كان وسيلة لمعرفة المداخل الأساسية لتقويض البني السوسيو/ ثقافية واحلال الآخر بعد فرض التماهي الحضاري ، كحال اهتمامات هانوتو (hanoteau) وأريب (arripe) وبارك (Berque) ، وغيرهم كثيرون لقد تأثر صوالح بالمستشرقين من جانب التأليف ومنهجه خصوصا وأنه كان مع سياسة الاندماج والتماهي وإحداث التغيير الحضاري بالجزائر برعاية فرنسا. (soualah, 1937, p. 487)

لقد تعمق صوالح في وصفه للأسرة الأهلية الجزائرية وبين الجزء الأول والثاني فكأنه أعطى الصورة التقليدية للأوضاع الاجتماعية التي اتسمت بالأصالة والحفاظ على العرف الاجتماعي مقارنة بما كتبه في الجزء الثالث.

يرى محمد صوالح أنه وبرغم الزمن والظروف احتفظت الأسرة الأهلية الأصيلة لشمال إفريقيا بصفات المشتركة بين العرب والبربر في إطار سياسة العيش المشترك الاندماجية نظرية المفكر رينان، وتتوافق هذه الأسرة فيما بينهما في نمطيات التفكير وتسيير وإدارة الأسرة، حيث لا طالما كان الابن الأكبر سنا من يسيطر على زمام الأمور مباشرة وتبقى الأسر الصغيرة التي تشكلت من الأبناء والأحفاد تحت السيطرة. (soualah, 1937, p. 145)

أعراف الموالييد:

لطالما كان الذكر فخرا لضمان استمرارية اسم وأصل الأسرة، يقول صوالح فالأب يتمنى لنفسه أن يكون بكره ذكرا أما بالنسبة للبنات فإن ميلادها مرحب به إذا سبقها ميلاد ذكر أو ثلاث . (soualah, 1937, p. 145)

ولم تختلف عادات وتقاليد الاحتفال بالمولود بعد ولادته بين الماضي وذلك الوقت أي حاضر محمد صوالح، حيث يصف محمد صوالح كيف كان يتم الاحتفال بولادته بغسله ووضع الحناء على جسم الطفل ووضع لكحل في عينيه ليقدّم للنساء في المنزل من أجل إطلاق الزغاريد للتعبير عن الفرحة، وفي

اليوم السابع تحتفل الأسرة رسميا بالمولود الجديد من خلال وضع اسم المولود والذي يلزم القانون الفرنسي بإعلانه مسبقا في السجل المدني (soualah, 1937, p. 146).

-الأسماء:

يذكر محمد صوالح قضية الأسماء كانت مرتبطة بأسماء الله بمعنى اسم الله مسبوق بكلمة (عبد): (عبد القادر، عبدالرحمن)، أو من أسماء الأنبياء: موسى إبراهيم، إسماعيل، يوسف، سليمان، عيسى، داوود، يونس، أو من أسماء مشتقة من اسم محمد: محمد، محمود، أحمد، حميدة، حمادو، البشير، الطاهر، وحتى الأسماء بعض الأولياء الصالحين: كالجلايلي (الجزائري)، بومدين (تلمسان)، أحمد الكبير (البليدة)، بن يوسف (مليانة) إدريس، كما تمارس عادة قص شعر المولود مرة ما بين سنة وخمس سنوات تقص خصلة وتظفر ويقدم خلالها الضيوف عملات نقدية فضية كتهنئة للمولود. (soualah, 1937, p. 148)

-البنات:

لأن محمد صوالح أهلي جزائري بغض النظر عن هويته الفرنسية كأحد المطورين، إلا أنه على إطلاع بتقاليد وأعراف المجتمع الجزائري وإن كان استقى المادة التاريخية من المستشرقين الفرنسيين للحقيقة والتاريخ غير أنه يتحدث عن هذا الموضوع باعتباره موضوعا حساسا في المجتمع الأهلي بحكم سيطرة المجتمع الذكوري على طريقة التفكير الاجتماعية وهميش العنصر الأنثوي لاعتبارات ثقافية واجتماعية وحتى دينية.

يرى محمد صوالح أن صورة البنت المولودة تختلف في تقاليد وأعرافها عن الذكر حيث يقول: "عندما يتعلق بإعطائها اسما فإننا نتبع عادة مماثلة لتلك التي تخص الأولاد خلال الاختيار بين المذاهب الإسلامية الشهيرة أو بين أسماء الفضليات: خديجة (الزوجة الأولى لمحمد)، ومنه اسم خدوج، خدوجة، خداج، واسم عائشة (الزوجة الثانية لمحمد) (حفاظا على اقتباس (محمد لأن محمد صوالح في السياق لم يذكر الصلاة عليه، أنظر (soualah, 1937, p. 156)، ومنه اسم عويشة عيشوشة، إضافة إلى اسم فاطمة (ابنة محمد)).

وتسري العادة أن تربي الطفلة من طرف والدتها حتى سن الخامسة أو السادسة وتلعب مع أقرانها من جنسها ونادرا ما تذهب إلى المدرسة أما إذا كانت من عائلة ميسورة الحال فإن عائلتها توفر لها

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

(طالب) أي معلم خاص لتدريسها وعندما تتقدم في السن تمنع من الخروج أو الظهور في الأماكن العامة، لكنها تتجول مع والدتها إلى الحمام، المقبرة، الأعراس... أو عند الأقارب، ولا يحق لها تعلم الغناء والموسيقى لأنها مخالفة للتربية وتتلقى عوضها ثقافة تلقين الأساطير والقصص الشعبية. (soualah, 1937, p. 156)

إن تصريح محمد صوالح أن الفتاة لا يحق لها تعلم الموسيقى والغناء والخروج جزء من دراسات إستشراقية سبقته انتبعت إلى ضرورة استغلال هذه النقطة بصفة عكسية وخلق مؤسسات التكوين المهني وتشجيع المرأة على الخروج والحرية، وبالنسبة لموضوع الزواج فكان تقليديا منذ بلوغ سن 15 سنة اللواتي يحضرن المناسبات الاجتماعية لمعرفةهن الواسعة بالناس. (soualah, 1937, p. 146)

كما أشار إلى ثقافة الوشم التي كانت تقليدا مقدسا للمرأة كان الوشم من علامات الجمال ويحظى بشعبية كبيرة بين سكان الريف، ولم تكن هذه العادة وصيت في المدينة، وخاصة في بلاد القبائل تحصل المرأة على وشم على ظهر اليد أو العنق أو في منتصف الذقن (soualah, 1937, p. 157)

-المنزل الموريسكي:

تميزت منازل الجزائريين بنمط عمراي خاص، راعى طيلة عصور الخصوصية الدينية والثقافية للمجتمع الأهلي، وقد اختلفت بشكل كلي عن منازل الفرنسيين سواء في الريف أو المدن الكبرى وحتى التجمعات السكانية الكبرى حيث يصفها صوالح بدقة. (soualah, 1937, pp. 160-161)

يقدم المنزل الموريسكي نفسه ببياضه المبهر على شكل بناء ضخم بخطوط صلبة... والغياب الكامل للفتحات وصغر النوافذ وقلتها والمزودة بسياج حديدي من الخارج، إلى جانب الباب المرصع الثقيل بمظلته المكسوة بالبلاط المطلي ومطرقته البرونزية على شكل يد" ، كما يشير إلى عادة الجزائريين في وضع علامة الخمسة (5) على الباب لجلب الحظ وطرده العين ويشبهها بالرقم 13 عند الفرنسيين والذين يؤمنون بأنه عدد جالب للحظ. (soualah, 1937, p. 140)

أثار نمط العمارة الأهلية انتباه إدارة الاحتلال من خلال المؤلفات الوصفية التي ركزت على دور النظم الدينية حتى في العمارة، بدليل أنه حتى نوافذ المنازل كانت تفتح على الباحة الواسعة وسط المنزل وليس للخارج وهو ما استدعى نشر العمارة الفرنسية في المدن الكبرى، وحتى في المستوطنات النموذجية كأحد مداخل تقويض المجتمع وفلكلورة المعتقد الديني في أبسط ممارسته.

الجزء الثالث: اختلف الجزء الثالث من كتاب المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا محمد صوالح في أفكاره ومستوى طرحها، فبعد أن قدم في الجزئين السابقين خلفية تاريخية للذهنيات والممارسات الثقافية والاجتماعية السائدة حاول من خلال هذا الجزء الاعتراض بطريقة ما على الخلفيات السابقة في شكل عقليات اتخذت حركة دفاعية ضد الأفكار التحديثية الفرنسية وهو ما اختلف به عن بقية المستشرقين، فهو لم يكتف بوصف مونوغرافي للمجتمع بل قدم صورة للمجتمع الذي يطمح أن تخلقه فرنسا بعد قبول الجزائريين بالأفكار والمشاريع الحضارية الفرنسية.

قدم في هذا الجزء مواضيع تصب في الترويج للمشروع الحضاري الفرنسي بنوع من التقدير والامتنان عالج فيه جهود فرنسا وإدارتها بالجزائر من خلال مؤسساتها وما لفت انتباهنا في هذا الجزء نقطتين:

- دور فرنسا في إحداث التحول داخل المجتمع الأهلي:

تجلى التواصل العميق بين الأوروبيين والأهالي في حياة الجزائر من خلال التحولات الحاصلة خاصة في مدن القبائل أو في المدارس الكبيرة ذات التعداد الكبير، أين حدثت فيها تحولات واتضح بعد الحرب العالمية فهو يرى أنه حتى (soualah, 1937, pp. 487-488) لم يبق وجود للخيم الكبرى أو العائلات القبلية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ وأصبحت غير موجودة، حتى المتواجدين في الصحاري هجروا خيمهم"، وفضلوا بناء (قري) حول المدن ليستقروا فيها حتى أنه لاحظ أن البورجوازية الجديدة التي نشأت على أنقاض الخيم الكبرى سايرت التماهي ولاحظ أنه حتى لباس القيادة والباشغوات أصبح عصريا. (soualah, 1937, p. 490)

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

وجذبت مغريات الحياة المدنية الأهالي الجزائريين الذين استبدلوا (القربي) بيروت صغيرة، مجهزة ومريحة شكلت مظهر الأحياء الوظيفية الحضرية المنيرة (soualah, 1937, pp. 485-488): "لقد اختلفت مظاهر تقليدية كثيرة عند السكان في المناطق الداخلية خاصة ما تعلق بالأمور المادية، كطاحونة القمح التي عوضت بالطاحونة العصرية بالبنزين، و عوّض الحطب بالإنارة كهربائية، لم تعد المرأة ملزمة بحمل قلال الماء من مسافة بعيدة على ظهرها وعوضت تلك القلال الفخارية بدلاء البنزين الكبير التي تملأ وتبقى لفترة طويلة، حتى نمط الغذاء تغير فرغم الاحتفاظ بالكسرة والكسكس والنباتات الطبيعية في الغذاء إلا أن الأهالي تأثروا بالثقافة الغذائية الأوروبية حتى أصبحت البطاطا في القبائل متوفرة جدا."

- دور فرنسا في حل مشكل التعليم الأهلي:

رغم إشارة محمد صوالح في الجزء الأول من كتابه لقضية التعليم الأهلي الذي ارتكز على المؤسسات التقليدية: "الكتاب والطالب" واعتمادها على تحفيظ القرآن الكريم في إطار تكريس الثقافة الدينية فقط إلى جانب اكتساب بالتلاميذ بعض المبادئ المعرفية البسيطة كالحساب واللغة، إلا أنه في الجزء الثالث حاول أن يجعل القارئ يلمس بكل الطرق فضل فرنسا وجهودها في تعلم الأهالي وتوفير المؤسسات التعليمية، وكان الجزائريين وجدوا فرص التعليم بكل حرية وعدل مع الأوروبيين ورفضوا ؟، لكن الحقيقة كانت مغايرة لذلك فالتجهيل كان أساس السياسة الفرنسية بالجزائر ولم تهتم سوى بخلق فئة منتقاة من الأهالي لتلعب دور الوسيط وتبني المشروع الفرنسي مستقبلا في إطار الثقافات الانتقائي للحذر والمدروس.

- تأثير النزعة الاستشراقية في دعم المنجزات الاستعمارية بالجزائر:

كان من بين الأهداف الأساسية للمشروع الاستشراقي الفرنسي بالجزائر جعل المجتمع الجزائري تحت المختبر الكولونيالي من أجل معرفة أساليب اختراق منظومته الاجتماعية أساسا ثم السير نحو فلكلورة الرموز الدينية لتندثر مع الوقت، ويبدو أن محمد صوالح قد تأثر بعمق بالمستشرقين وتبنى أهداف مشروعهم وهو ما تجلّى في ما كتبه في الجزء الثالث من كتابه، حيث عكس فعلا تلك النخبة التي أرادت إدارة الاحتلال خلقها لتكون الفئة الوسيطة، وقد عكست النظرة الاستشراقية لصوالح نجاح الأفكار

الاستشراقية الفرنسية في احتراق ذهنية المطوّرين من خلال تبني الفكر الحضاري الفرنسي وإنكار الذات واحتقار الحياة الأهلية التقليدية وتقديس أفكار المشروع الفرنسي في شكلها المادي.

تناول المؤلف محمد صوالح في الجزء الثالث مجموعة من العناوين التي عكست آراءه حول المجتمع الجزائري ومدى التأثير الإيجابي للحضارة الفرنسية على نمطيات الحياة من خلال المرافق العمومية، وتغيير الذهنيات والسلوكيات والممارسات اليومية، غير أنه ركز كثيرا على التحولات العميقة للمجتمع الجزائري ودور فرنسا في تحسين الأوضاع العامة حيث أشار إلى (soualah, 1937, pp. 546-547): الإدارة ومؤسساتها العمومية، تطور السكان، وركز بصفة كبيرة على تحسين الوضعية التعليمية وأشاد كثيرا بدور الولاة العامين الفرنسيين في توفير التعليم للأهالي الجزائريين من خلال تساوي فرص التعليم بين الطفل الأهلي والأوربي، طبعا وفق إحصائيات قدمها صوالح.

وكما كان في كل الأجزاء، ذيل محمد صوالح دراسته في الجزء الثالث بمشاهد تراثية شعبية حول التراث الشفوي في شكل أمثال بالدارجة متعارف عليها في المجتمع منذ قرون، إلى جانب سرد بعض الأساطير والقصص التي توارثها المجتمع جيلا عن جيل، كما أشار إلى الغناء الشعبي المحلي، تعبيرا منه عن الحالة الفكرية والذهنية للمجتمع الأهلي الجزائري مع أفراد بعض الصور الفوتوغرافية الحية لتوضيح بعض النصوص ليفهمها الفرنسيون). (soualah, 1937, pp. 3-4)

ومن بين الصور التي عكست تأثر محمد صوالح بالزعة الاستشراقية وأهدافها التي تضمن إخضاع المجتمع لتحولات جذرية وعميقة تخدم المنظومة الاستعمارية في أبعادها الحضارية: الأسرية الجزائرية، وما لفت انتباهنا معالجته لظاهرتين اجتماعيتين وهما: وضعية المرأة الأهلية وظاهرة اليالود أو ماسحي الأحذية.

-وضعية المرأة الأهلية : نحو التحرر

توسع محمد صوالح في وصفه لجزئيات المجتمع والأحوال الاجتماعية، غير أنه كما ذكرنا وقف موقف المعارض من العقلليات السائد التي أنكرت الحضارة في أشكالها الفكرية والمادية، وكان موضوع المرأة الأهلية من المواضيع التي كتب فيها صوالح وأبدى سخطه من وضعيتها حيث يرى بأن المجتمع الجزائري عامل أساسي في وقوفه كحاجز أمام تطور المرأة وتحررها ويقارن وضعيتها بوضعية المرأة في تونس، و التي

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

استفادات من الحرية الفكرية والجسدية ويفسر سلبية دور المرأة الجزائرية وشلل وظيفتها في المجتمع بالقيود العرفية الاجتماعية وعدم مسايرة الأفكار التحديثية الفرنسية، ويربط هذه الصورة بضرورة فرض التعليم العصري للمرأة سواء المدرسي أو المهني وهو الحل الوحيد لتهديب أفكارها وسلوكياتها وجعلها سيدة مجتمع، ويجررها في نفس الوقت من العادات والأعراف التي تعيق تقدمها إلى جانب اهتمام الآباء بتعليم الذكور على حساب الإناث (soualah, 1937, p. 384)، فيرى مثلا أنه وإلى غاية سنة 1934 لم تكن هناك سوى 43 مدرسة للبنات، غير أنه اقترح ضرورة توفير التعليم الواسع لإعداد زوجات مثقفات للمستقبل تضاهي مستوى الرجال المثقفين وبنفس التكوين. (soualah, 1937, p. 386)

-ظاهرة ماسحي الأحذية وحلول التعليم المهني:

أدرك محمد صوالح أن المشاكل الاجتماعية في الجزائر داخل التركيبة السكانية الأهلية أساسها التوجيه الصحيح للأطفال نحو ارتياد المدارس الفرنسية، خاصة وأنه شجع الأطروحة الاستعمارية حول الأخوة بين الأطفال الأهالي والفرنسيين في التعليم وهو ما أحس به محمد صوالح خاصة في المدن الكبرى، ومن حيث النظم البيداغوجية لاحظ توحيد منهج الامتحانات والدروس التي تعكس في تطور العدالة العلمية (soualah, 1937, pp. 372-378)، كما أشاد كثيرا بسياسة جونارونشر خطاباته المتعلقة بتحسين التعليم الأهلي.. (soualah, 1937, p. 387)

هذا ويعالج محمد صوالح قضية الأطفال ماسحي الأحذية، -الباولاد- كمشكلة اجتماعية مطروحة في الجزائر بسبب توقفهم عن مزاولة دراستهم أو بسبب طردهم من المدرسة وتجمعوا في حرفة ماسحي الأحذية في الشوارع، ويعتبر صوالح المتهم الأول في هذا هو "المرأة" التي لم تكون نفسها لتكون أولادها: "لو كانت تمتهن حرفة في المدارس التعليمية المهنية الفرنسية كانت غير هذه الوضعية، إنهم يبيتون على عتبة أبواب المطاعم، على أسطح المقاهي، عددهم كبير، هم يتامى ... متخلى عنهم، أمهاتهم سيئات ليس لمن أية حرفة، تفرض عليهم التقاليد المكوث في المنزل، وما داموا بعيدين عن المدرسة يتلقون دروس الشارع الأليمة." (soualah, 1937, pp. 365-366)

7- خاتمة:

في نهاية ورقتنا البحثية هذه نخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات التاريخية:

أولاً- أنّ الاستشراق الفرنسي في الجزائر كان من أخطر المداغل الاستعمارية من أجل تشريح المجتمع الجزائري الأهلي، ومعرفة كل ما يتعلق بحياته اليومية خاصة وما تعلق بالعبادات والتقاليد والأعراف والممارسات الدينية ودور كل فرد في الأسرة، وبهذا نجد الكتابات الاستشراقية أسهبت في المؤلفات المونوغرافية الواصفة للجزائري وحياته، وليس من أجل التعريف بالمجتمع الأهلي للآخر، وهو ما تحقق بمحاولات فلكلرة الدين ورموزه للقضاء على الثوابت الهوياتية ودوائر الانتماء وجعلها مجرد عادات وتقاليد أي قضية ضمير شخصي، إلى جانب استغلال الدراسات المونوغرافية عن الأدوار الاجتماعية لتقويض المجتمع وكانت المرأة أحسن مثال استخدمته إدارة الاحتلال لإحداث التماهي الحضاري.

ثانياً- يعتبر محمد صوالح من بين الجزائريين المغمورين الذين ساهموا في عملية الاستشراق الفرنسي من خلال أفكاره التي عكستها مؤلفاته، حيث تأثر بمنهج المستشرقين في الكتابة خاصة ما تعلق بوصف الحياة الأهلية الجزائرية حيث قدم كتابه "المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا" من أجل تعريف الفرنسيين بخصائص المجتمع الجزائري بشكل أدق مما وصفه الفرنسيون أنفسهم وركز فيه على شرح عقلية الجزائري وسلوكياته وممارساته العقدية، واعتمد في أطروحته واستنتاجاته على ما كتبه سابقه من المستشرقين، غير أن شخصية محمد صوالح بقيت مغمورة في مجال التاريخ السياسي ولم تحظ أعماله في مجال التعليم والتاريخ بالأهمية والقيمة التي تستحقها، ورغم كونه مستشرقاً جزائرياً، إلا أنه قدم مساهمة في التاريخ المونوغرافي في المجتمع الأهلي الجزائري.

8. قائمة المراجع:

المراجع العربية :

1. الجمعي حمري. (2002-2003). حركة الشباب الجزائريين و التونسيين 1900-1930. جامعة منتوري قسنطينة : أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر .

إسهامات محمد صوالح بن معمر في الدراسات الإستشراقية الفرنسية بالجزائر من خلال كتابه :

(La Société Indigène de l'Afrique du Nord 1937)

2. الطيب بن براهيم . (2004). الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر. الجزائر : دار المناهج.
3. حنيفي هلايلي . (2005). "شخصية سيدي محمد الهواري في الكتابات الاستشراقية الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية، رصيد بيبوغرافي" (الإصدار العدد 1، المجلد المجلد 8). مجلة الحوار المتوسطي.
4. سعد ابو القاسم. (1995). تاريخ الجزائر . الجزائر : دار الهدى.
5. سعد الله أبو القاسم . (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954). بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي.
6. سليمان الشيخ، و تر محمد الحافظ الجمالي. (2003). الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين. الدار المصرية اللبنانية.
7. سهيلة دريوش، و محمد تر يجياتان. (2017). "الاستشراق الفرنسي بالجزائر ما بين 1830-1930 ، قراءة في مقال لهنري ماسي (henri masse)" (المجلد 8). مجلة الممارسات اللغوية .
8. عبد الحميد زوزو. (2012). الفكر السياسي للحركة الجزائرية والثورة التحريرية (1880-1954) (المجلد ج1). الجزائر: دار هومة.
9. عبد القادر جغلول. (د.ت). الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر . الجزائر : دار الحدائثة .
10. عبد الله حمادي. (د.ت). الحركة الطلابية في الجزائر، 1871-1962 (الإصدار ط 2). الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
11. غني بريفييلي . (2007). النخبة الجزائرية الفرونكوفونية 1880-1962. الجزائر : دار القصبية .
12. فريد حاجي. (2013). السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر 1837 - 1937. الجزائر: دار الخلدونية.
13. كمال لحر. (2010-2011). صورة المجتمع الجزائري في المجلة الافريقية 1856-1962. قسنطينة : جامعة منتوري.

المراجع باللغة الأجنبية :

14.hamet, i. (1906). *musulmans français du nord de l'Afrique*
librairie armandcolin. paris.

15.le rachidi , f. (1912).

16. soualah, m. (1937). *la société indigène de l'Afrique du nord (Algérie, Tunisie, Maroc, Sahara)* (Vol. 03). paris.
17. soualah, m. (1937). *la société indigène de l'Afrique du nord (Algérie, Tunisie, Maroc, Sahara)* (2émepartie). Paris
18. soualah, m. (1937). *la société indigène de l'Afrique du nord (Algérie, Tunisie, Maroc, Sahara)* (3émepartie). Paris
19. soualah, m. (1937). *la société indigène de l'Afrique du nord (Algérie, Tunisie, Maroc, Sahara)* (2ed). paris